انما السيرة تكشف عن السريرة

بقلم : الاستاذ صدر الدين احمد

كان يزيد الاول شابا طائشا صعب المراس ، يقترف من الآثام اشنعها ولا يحجم ان يمالن بها المسلمين، حتى لقد كان يخرج الى الصلاة مخموراً في اكثر الاحيان ، او يرتقي المنبر كذلك ، او يتخذ من دار الخلافة موئلا للمومسات ، فكأنه كان يلتمس الايمان من الخمر والمومسات بأنه لايزال مارقا من الدين .. اذ لم يجد في نفسه ايمانا آخر يشفع له ان يكون اميرا للمؤمنين .

ومتى كان « يزيد » هكذا في طبيعة اخلاقه .. فناهيك به من خليع مطبوع ، وناهيك بان الذين بايعوه بالخلافة انما بايعوه مع هـذه الاخلاق كي يظاهروه بها على اخلاق سائر العلويين !

ولو لم يكن ذلك هو غرضهم بالجزم ، ولولا انهم كانوا متعصبين الى يزيد دون غيره — لجعلوا الامر شورى بين المسلمين ليختاروا كائنا من يكون أجدرهم بالخلافة واصدقهم تمثيلا لاخلاقهم وآرائهم ..

وهل تعرف رجلا اسمه « أيمن بن خزيم الاسدي » ؟ انه كان شاعراً للأمويين في الشام ، وانه كان واحداً من الوف الدعاة الى خلافة يزيد، ولقد نظم قصيدة قال في سياقها :

اديروها بني حرب عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا
ماعلينا الآن من هذا ..

انما يجب ان نعترف للامويين بأنهم كانوا في الواقع قوما ماكرين ، وكانوا يعلمون بالتجربة والبداهة ان في المسلمين ناساً ينعقون مع كل ناعق ، وان فيهم ارهاطاً جبناء ومسالمين وان فيهم لفيفاً يطمحون الى جر المغانم ، وان فيهم احزابا تؤيدهم وتدعوا الى تثبيت اقدامهم .. فلا عجب اذا ما انتهزوا تلك السوانح كلها واستمدوا منها الجرأة على تنصيب يزيد خليفة كيفما اتفق ، وكيفما سيكون .

غير ان الكوفيين كانوا أيقاظا حينذاك ، وما كان اسرعهم الى الانتقاض على يزيد ، اذ كانوا يرون ان الحسين السبط أحق بالخلافة العامة سواء من حيث طهارة اخلاقه أم غزارة معارفه القضائية والسياسية والحربية . ولذلك فقد تألبوا في مشارق الكوفة ومغاربها ، واعلنوا سخطهم على تصرفات الامويين الغادرة ، ثم كتبوا الى الحسين يستقدمونه عليهم ، ويحذرونه بانه سيكون هو المسئول عن العاقبة ان هو امتنع عن مناصرة بقية المسلمين .

فماذا كان من أمر الحسين ؟

لاريب في انه اصبح من الكوفيين تجاه مأزق حرج ، وتجاه رتيمة معقدة ؛ فهو اذا اجاب دعوتهم فليس يأمن على نفسه من التهلكة ، واما اذا أهمل دعوتهم فقد اهمل واجبا لابد من انه سيحاسب عليه جيلا بعد جيل .

فماذا آثر من هذين النجدين ؟

حي على الفلاح ..

حي على خير العمل ..

لقد آثر خير النجدين ، لقد آثر التضحية بنفسه في سبيل الدين والشرف والاخلاص ، لقد آثر ان يموت شهيداً ناصع الجبين على ان لايحيا في ذاكرة التاريخ جبانا اسود الجبين .

وهكذا انقذ امة باسرها حينما جعل من قطرات دمه علائم تدل على قوم كانوا في دخائلهم مجرمين .

البصرة : فيصل جرىء السامر

لقد مات يزيد ومات الحسين ، لكن التاريخ افرد لذاك صفحة سوداء كلها خزي وعار ، ولهذا سجلات كلها حمد وثناء كلها مجد وخلود تروى كل يوم بل كل ساعة .

اننا نسيء الى ذكرى الحسين ع ، ان ندبناه وبكيناه فحسب ، فان البكاء عليه اضعف الايمان .

علينا — ايها السادة — ان نستمد من حياته واستشهاده عظة وعبرة ونجعل من مأساته بحراً خضما ننهل من عبابه الصبر والشجاعة ، والايمان والكفاح ؛ كلما اعوزتنا هذه المعاني لاصلاح حاضرنا ورسم طريق مستقبلنا .

النجف : صدر الدين احمد